

Bible Study

The Book of Genesis

Chapter 3

سفر التكوين - الاصحاح الثالث

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

الاصحاح الثالث: سقوط آدم وحواء وطردهم من جنة عدن
"وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الله، فقالت للمرأة: أحقًا
قال الله لا تأكلًا من كل شجر الجنة؟! فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة
نأكل. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلًا منه ولا تمساه لنلا
تموتاً" [1 - 3]

- إذ قدم الله للإنسان كل شيء أقامه في جنة عدن، ووهبه الوصية ليرد الحب
بالطاعة. ولعله كان في ذهن الله هبات أعظم يود أن يقدمها للإنسان كمكافأة له
عن طاعته المستمرة للوصية، لكن عدو الخير حسد الإنسان فأراد أن يهبط به
إلى الموت مستخدمًا الحية ليدخل مع الإنسان في حوار مهلك.
- لقد استخدم العدو الخليفة الصالحة التي من عمل الله كوسيلة لتحطيم الإنسان،
فكان العيب لا في الوسيلة، وإنما في الإنسان الذي قبل أن يدخل في حوار باطل
مع الحية، خاصة وأن المرأة بدأت تحرف كلمات الله إذ ادعت أنه طالبتها ألا
يمسا الثمر، الأمر الذي كان فيه مبالغة! لهذا يسألنا الرسول بولس أن نهرب
من مثل هذا الحوار المفسد للعقل والنفوس، قائلًا: "المباحثات الغبية والسخيفة
اجتنبها" (2 تيموثاوس 2: 23).

- كثيرًا ما أكد القديس يوحنا الذهبي الفم أنه ما كان يمكن للشيطان أن يتسلل إلينا ويغلبنا ما لم نعطه الفرصة بالتراخي أو الدخول معه في حوار باطل، فمن كلماته: [قد يقول قائلًا: ألم يؤذ الشيطان آدم، إذ أفسد كيانه وأفقده الفردوس؟ لا إنما السبب في هذا يكمن في إهمال من أصابه الضرر ونقص ضبطه للنفس وعدم جهاده. فالشيطان الذي استخدم المكائد القوية المختلفة لم يستطع أن يخضع أيوب له، فكيف يقدر بوسيلة أقل أن يسيطر علي آدم، لو لم يغدر بنفسه علي نفسه؟... التراخي والكسل وليس إبليس هما اللذان يصرعان غير اليقظين... إنما هذان يسمحان لإبليس لكي يفرط في الشر... لم أنطق بهذه الأمور لأبرئ الشيطان من الذنب، لكن لكي أحذركم من الكسل. فإن الشيطان يرغب في أن نلقي باللوم عليه عندما نخطئ... بهذا نغرق في كل صنوف الشر ونزيد علي أنفسنا العقوبة، ولا ننال العفو، إذ ننسب العلة إليه (دون أن نقدم توبة)... كان يجب علي حواء أن تصمت؛ كان يلزمها ألا تبادل الحية الحديث، ولكن في غياب كشفت قول السيد، وبذلك قدمت للشيطان فرصة عظيمة... انظروا أي شر هذا أن نسلم أنفسنا في أيدي أعدائنا والمتآمرين علينا؟! لهذا يقول السيد المسيح: **"لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير (لنلا تدوسها بأرجلها) وتلتفت فتمزقكم" (متى 7: 6)**. هذا هو ما حدث مع حواء. لقد أعطت القدس للكلاب والخنازير، فداست عليها بأرجلها والتفتت ومزقت المرأة]





"فقلت الحية للمرأة: لن تموتاً، بل الله عالم أن يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر" [4 - 5]

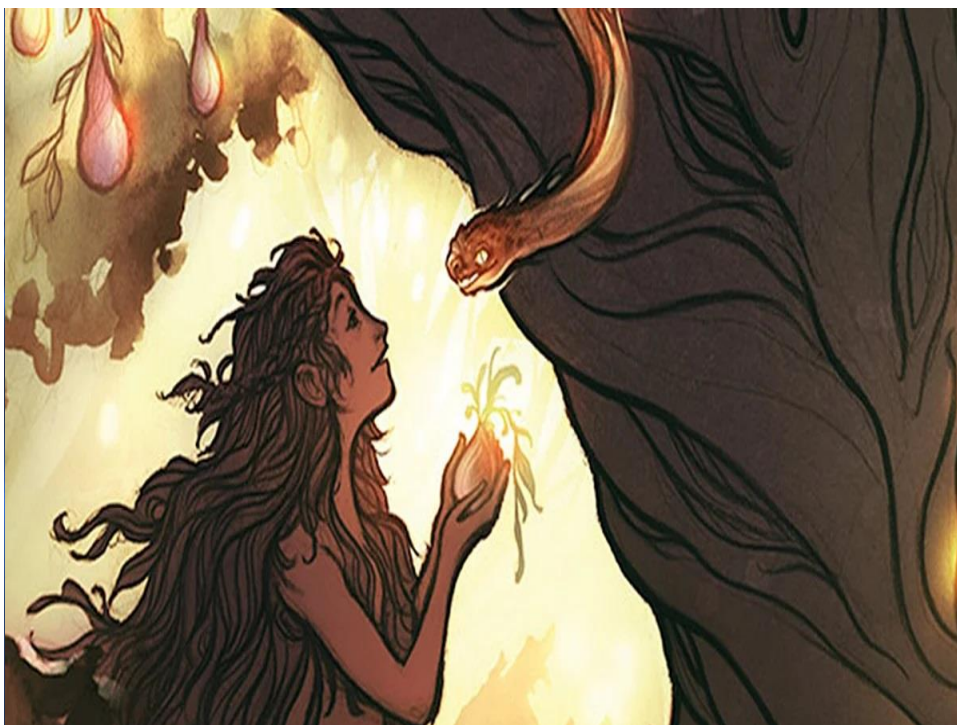
- يقدم الشيطان للإنسان مجرد وعد أنهما يكونان كالله (كبرياء!) وينالان معرفة، لكنه لم يقدم عملاً لصالحهما وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [لم يظهر الشيطان عملاً صالحاً - قليلاً كان أو كثيراً - بل أغوي المرأة بالكلام المجرد ونفخها برجاء باطل، وهكذا خدعها، ومع هذا نظرت إلى الشيطان كموضع ثقة أكثر من الله، مع أن الله أظهر إرادته الحسنة بأعماله... إذ لم يكن الشيطان قادراً على تقديم شيء عملياً قدم بالأكثر وعوداً في كلمات. هكذا هي شخصية المخادعين].

- حقاً لقد كان يمكن لحواء أن تعرف خديعة العدو وتدرك مضاداته لله ومقاومته لكلماته، فبينما يقول الله لأدم: **"موتاً تموت"**، يقول الشيطان: **"لن تموتاً"**. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [كيف يليق بالإنسان أن يدرك العدو والخصم إلا من هذه الإجابة المناقضة لأقوال الله؟! كان يليق بحواء أن تهرب للحال من الطعم وتراجع عن الشبكة].



- يقول القديس أغسطينوس: [الله هو قائدنا والشيطان هو مهلكنا، القائد يقدم وصيته، وأما المهلك فيقترح خدعة، فهل نصغي للوصية أم للخداع؟]

- ويرى آباء الكنيسة في خداع إبليس لأدم (وحواء) ثلاث خطايا رئيسية قدمها العدو لتحطيم البشرية كلها، وعاد ليحارب آدم الثاني (السيد المسيح) بذات الخطايا، حاسباً أنه قادر على اقتناصه في شبابه، وكما يقول الأب سرابيون: [كان يلزم بحق لربنا أن يُجرب بنفس الأهواء التي جُرب بها آدم حين كان في صورة الله قبل إفسادها، وهي **النهم والطمع والكبرياء**، التي تشابكت وأفرخت بعدما تعدي الوصية وأفسد صورة الله وشبهه. لقد جُرب آدم بالنهم حين أخذ الفاكهة من الشجرة الممنوعة، وجُرب بالطمع حين قيل له: "**تتفتح أعينكما**"، وبالكبرياء حين قيل: "**تكونا كالله عارفين الخير والشر**" (تكوين 3: 5) وأيضاً جُرب مخلصنا بالخطايا الثلاثة، بالفهم حين قال له الشيطان: "**قل أن تصير هذه الحجارة خبزاً**" (متي 4: 3)، وبالكبرياء حين قال له: "**إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل**"، وبالطمع حين أراه جميع ممالك الأرض ومجدها، وقال له: "**أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي**" (متي 4: 9). لقد أعطانا الرب نفسه مثلاً كيف يمكننا أن ننتصر كما انتصر هو حين جُرب. لقد لقب كلاهما بآدم، أحدهما الأول في الهلاك والموت، والثاني كان الأول في القيامة والحياة، بالأول صارت البشرية كلها تحت الدينونة وبالثاني تحررت البشرية.]





- وقد ركز كثير من الآباء على خطية الكبرياء بكونها رأس الخطايا، خلالها تحطم إبليس وجنوده، مقدماً ذات الوسيلة ليحطم البشرية. يقول القديس أغسطينوس عن الأبوين الأولين اللذين خدعهما الشيطان بروح الكبرياء: [لقد أنصتاً لصوت المخادع: "تصيران كالله" فهجرا الله الذي أراد أن يجعلهما أبديين لا خلال عزلتهما عنه وإنما خلال شركتهما فيه... بالكبرياء نفشل في بلوغ هذا الخلود... إن كنا بالكبرياء قد جُرحنا فبالاتضاع ننال الشفاء. جاء الله في اتضاع لكي يشفي الإنسان من جرح الكبرياء الخطير].

- هكذا يكشف لنا الآباء خداع العدو إبليس، هذا الذي تسلل إلى حواء خلال الحية، لكي بدورها تسحب رجلها إلى السقوط معها، إذ قيل:

"فرات المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وإن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل" [6]

- وهكذا فقدت حواء رسالتها الأصلية كمعينة [2: 18] بل صارت فخاً لرجلها ومحطمة لحياته.



"فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر" [7]

- ماذا يعني انفتاح العينين لتريا أن الجسد عريان، إلا أن الإنسان بالخطية يدرك أنه دخل إلى حالة من الفساد تظهر خلال أحاسيس الجسد وشهواته التي لا تُضبط؟ بهذا يدخل الإنسان في معرفة جديدة، هي خبرة الشر التي امتزج بحياته وأفسد جسده تمامًا؛ إنه يتعرف على جسده الذي صار عنيفًا في الشر بلا ضابط.

- يقول القديس أغسطينوس:

[لقد اختبرا إحساسًا جديدًا في جسديهما اللذين صاروا عاصيين لهما كمكافأة حازمة لعصيانهما الله. فالنفس الثائرة على خدمة الله محتقرة هذا العمل بكامل حريتها تفقد سيطرتها التي كانت لها قبلاً على الجسد... انفتحت أعينهما لا لينظرا، فإنهما كانا ينظران من قبل، إنما ليميزا الخير الذي فقدها والشر الذي سقطا فيه... لقد عرفا أنهما عريانان، عريانان من تلك النعمة التي حفظتهما من خزي عري الجسد، بينما قدمت لهما شريعة الخطية عدم ثبات لذهنهما.]



- يقول القديس أمبروسيوس:
[صار لك معرفة أنك عريان، لأنك فقدت ثوب الإيمان الصالح. هذه هي الأوراق التي بها تطلب أن تستر نفسك. لقد رفضت الثمر وأردت الاختفاء وراء أوراق الناموس ولكنك خُدت].
- هكذا إذ يري الإنسان نفسه عاريًا عن ثمرة النعمة الإلهية التي تعمل في أعماق القلب الداخلي يتستر وراء حرفية الناموس وشكليات ظاهرة دون التمتع بالتغيير الداخلي.
- ويرى القديس ديديموس الضرير أن الإنسان يلجأ إلى أوراق التين يحيكها مآزرًا لنفسه لا تقدر أن تستره، بالتعلل بأعذار واهية لما يرتكبه، إذ يقول: [أحيانًا يحيك الخاطئ لنفسه أعذارًا عن خطاياهم. أليس هذا هو ما نراه في كثير من الناس؟! فالغضب مثلًا يخترع أعذارًا لكي يبرر غضبه مظهرًا أنه علي حق، مستعينًا أحيانًا بالكتاب المقدس، هذا هو معنى "خاطا أوراق تين"، وذلك بإهمالهما للثمر وإقامة نوع من الحماية غير الكاملة كمآزر لهما. فالغضب مثلًا نسمعه يقدم (إيليا) مثلًا بأنه غضب وأهلك رئيس الخمسين (2 ملوك 1: 9-12).]

"وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاخْتَبَأَ آدم وامراته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة" [8]

- لقد سمعا "صوت الرب" ماشياً مع أن الصوت لا يمشي، لكنه هو "صوت الرب" أي (كلمته)، الابن الوحيد الذي جاء مبادراً بالحب ليقتنص الإنسان الساقط ويقيمه. جاء عند هبوب ريح النهار، إذ نلتقي به بالروح القدس، لأن كلمة "روح" و "ريح" في العبرية هي واحدة. جاء في وسط النهار لتتعرّف عليه خلال نوره. وكما يقول المزمور: "بنورك يا رب نعاين النور" بمعنى آخر لن نسمع صوت الرب متمشياً فينا ما لم يهب بروحه القدوس على جنته في أعماقنا ويضيء عليها بنوره الإلهي فنصير كمن في وسط النهار.

- لم ينتظر الله الإنسان ليأتي إليه معتذراً عن خطايه، إنما تقدم إليه لكي بالحب يجتذبنا إلى معرفة خطايانا والاعتراف بها. بنفس الروح يطالبنا ربنا يسوع أن نذهب نحن إلى أخينا الذي أخطأ إلينا ونعاتبه ولا ننتظر مجيئه إلينا (متى 18: 15). وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إن المخطئ غالباً ما يحجم عن المجيء بسبب خجله، لذا يليق بنا أن نذهب إليه أولاً بمفردنا لكي بالحب نريحه لأنفسنا كما يريح هو نفسه.





"فنادي الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت، لأني عريان فاخترتُ" [9 - 10]

- لم يكن يجهل موضعه لكنه أراد الدخول معه في حوار، كاشفًا له أنه قد صار غير مستحق أن يكون موضع معرفة الله، وكأنه قد صار مختفيًا عن النور الإلهي. يقول القديس أغسطينوس أن الشرير يخرج بشره من دائرة نور الله فيصبح كمن هو خارج معرفة الله، لا بمعنى أن الله لا يعرفه، وإنما لا يعرفه معرفة الصداقة والشركة معه، لهذا يقول للجاهلات: **"الحق أقول لكن إنني ما أعرفكن" (متي 25: 12)**. يقول القديس جيروم: [سمعنا أن الله لا يعرف الخطاة، لنتأمل كيف يعرف الأبرار!] الآن، ما هو موقف الإنسان تجاه هذه المبادرة الإلهية؟
أولاً: "اختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة" [8]، هذا الهروب هو ثمر طبيعي للعصيان والانفصال عن دائرة الرب، إذ لا تطبق الظلمة معانية النور، وكما يقول آدم: **خشيت، لأني عريان فاخترتُ**. [يحدثنا القديس أمبروسيوس عن سر هروب الخاطئ من وجه الرب بقول: [الضمير المذنب يكون مثقلًا حتى أنه يعاقب نفسه بنفسه دون قاضٍ، يود أن يتغطي لكنه يكون أمام الله عاريًا.] كأن الخطية تفقد الإنسان سلامه الداخلي وتدخل به إلى حالة من الرعب.



- ويعمل القديس ديديموس الضيرير اختفاء آدم بقوله ان الإنسان قد طلب المعرفة خلال خبرة الشر فاختبأ من وجه الرب بابتعاده عن معرفة الله النقية.

- ويرى العلامة أوريجانوس أن الأشرار يختفون عن وجه الرب إذ قيل **"خَلَوْا نحوياً الفقا لا الوجه" (إرميا 2: 27)**، أما الأبرار فيقفون أمامه بثقة ليهبهم الحياة المقدسة (1 يوحنا 3: 21)، قائلين مع إيشع النبي: **"حيّ هو الرب الذي أنا واقف أمامه" (2 ملوك 5: 16)**.

- هكذا أختفي آدم بعد السقوط ولم يقدر أن يعاين الرب لأن الرب مرعب ومخيف وإنما لأن الإنسان في شره فقد صورة الله الداخلية التي تجتذبه بالحب نحو خالقه محب البشر، فصار الله بالنسبة له مرعباً ودياناً لخطاياهم، فالعيب في الإنسان الذي فقد نقاوة طبيعته وخسر استنارة بصيرته الداخلية. لذلك يعلق القديس ديديموس الضيرير على اختفاء آدم برعب، هكذا: [يعمل آدم عريه كسبب لخوفه، هذا العري الذي نجم عن فقدانه للفضيلة التي تستره، فالفضيلة بالحق هي ملابس إلهي. بهذا يعظ الرسول: **"البسوا الرب يسوع" (رومية 13: 14)**، **"البسوا أحشاء رآفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة و طول اناة" (كولوسي 3: 12)**، أي زينوا أنفسكم بسلوك الرأفة حسب المسيح، أو **"تلبس أسلحة النور" (رومية 13: 12)**، حتى نقدر أن نحارب الأعداء (الروحيين)].

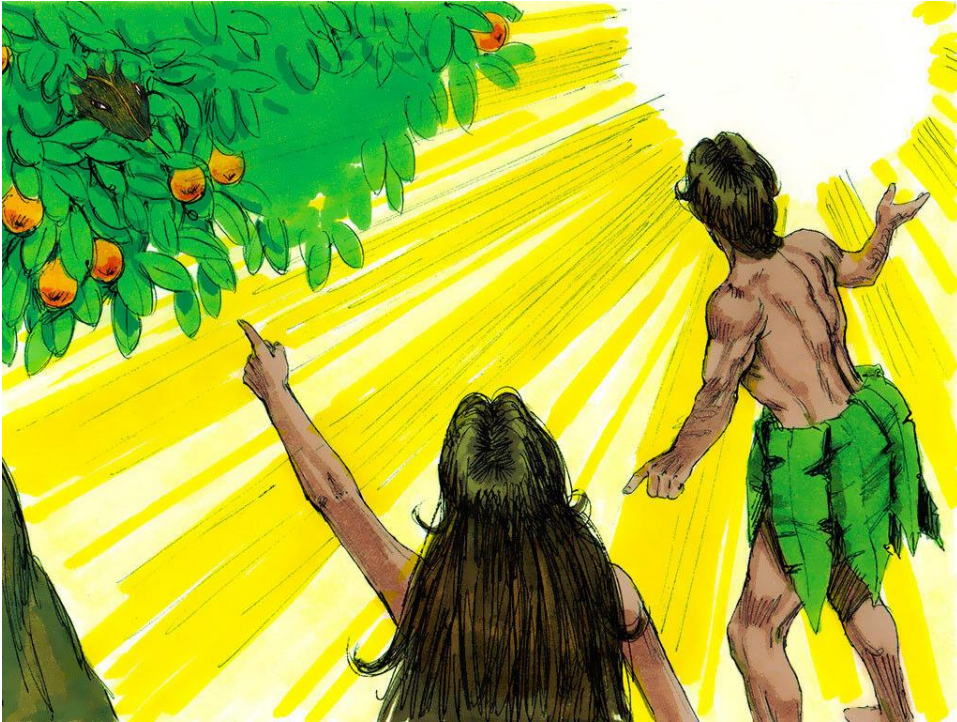
"فقال من اعلمك انك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها. فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة: الحية غرتني فأكلت"

[11 - 13]

- عندما التقى الله بالإنسان خلال مبادرته بالحب بالرغم من هروبه وتخوفه وعدم انكاره لخطأه، لكن للأسف برر خطأه بإلقاء اللوم على حواء، التي القت باللوم على الحية. وهنا نلاحظ شيئاً صعباً جداً وهو أن آدم القي باللوم على الله بقوله **"المرأة التي جعلتها معي"** ولم يعتذر أحد منهما عما ارتكبه.

- يعلق القديس ديديموس الضريير على إجابة آدم بقوله: [كان يليق به أولاً أن يفكر بأنه استلم زوجته من الرب لخيره، وأنه لم يتسلمها لتعطيه دروساً بل لتتمثل هي به.] كما يعلق على إجابة حواء بقوله: [الآن تعترف أنها انخدعت... فإن هذا هو حال المخدوعين لا يدركون الشر إلا بعد إتمامه، إذ تخفي الشهوة عنهم إدراكهم للحقيقة وتنزع عنهم المعرفة.]

- إذ حملت الحية خداعات إبليس للإنسان نالت اللعنة التي تصيب كل نفس تقبل سمات هذه الحية فيها وترتضي أن تكون آلة لحساب عدو الخير وإغراءاته.



"فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلتِ هذا ملعونة أنتِ من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين وترابًا تأكلين كل أيام حياتك. واضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك وأنتِ تسحقين عقبه" [14 - 15]

- هكذا كل إنسان يقبل أن يكون أداة للعدو الشرير يصير كالحية، يسعى على بطنه محبًا للأرضيات، ليس له أقدام ترفعه عن التراب، ولا أجنحة تنطلق به فوق الزمنيات. يصير محبًا أن يملأ بطنه بالتراب، ويزحف بجسده لتشبع أحشائه مما يشتهي. هذا ومن جانب آخر فإن من يقبل مشورة الحية يشتهي الأرضيات فيصير هو نفسه أرضًا وترابًا، أي يصير مأكلاً للحية التي تزحف لتلتهمه. أما من له أجنحة الروح القدس فيرتفع فوق التراب منطلقًا نحو السماء عينها فلا تقدر الحية الزاحفة على الأرض أن تقترب إليه وتلتهمه.

- ويقول القديس أغسطينوس: [يلتصق (الأشرار) بالأرضيات، وإذا هم مولودون من الأرض يفكرون فيها، ويكونهم أرضًا يصيرون طعامًا للحية... فإذا طأ العدو حياتي يجعلها أرضًا فتصير له طعامًا... أتريد ألا تكون مأكلاً للحية؟! لا تكن ترابًا. وإن سألت: وكيف لا أكون ترابًا؟ إن كنت لا تتذوق الأرضيات.]





AUE MARIA

GENESIS 3:15
I will put enmities
between thee and
the woman, and thy
seed and her seed:
she shall crush thy
head, and thou
shalt lie in wait
for her heel.

- باللعنة، صارت الحيّة تمثل إبليس نفسه، الذي دُعي **"الحيّة القديمة"** (رؤيا 20: 2)، وقد وضع الله عداوة بين إبليس والمرأة حتى يأتي السيد المسيح من نسل المرأة - دون زرع بشر - يسحق رأس الحيّة التي سحقته عقب البشرية. - سحق السيد المسيح - نسل المرأة - بصليبه رأس الحيّة، كقول الرسول: **"إذ جرد الرياسات والسلطين أشهرهم جهارًا ظافراً بهم فيه (في الصليب)"** (كولوسي 2: 15)

- لكن الحيّة تسحق كل إنسان ينزل عن الحياة العلوية التي في الرب ليصير عقبًا يرتبط بالتراب. يري القديس أغسطينوس أن رأس الحيّة هو الكبرياء الذي يحدر حياة الإنسان فيجعلها عقبًا، عندئذ تقدر أن تنفس فيه سمومها، إذ يقول: **[تترقب الحيّة عقب الكبرياء، عندما تراك تسقط بالكبرياء وتنحدر. إذن فلتلاحظ أنت رأسها أي الكبرياء بكونه رأس كل الخطايا]** - كما يري أن رأس الحيّة هو بداية انطلاق الخطية فينا خلال الفكر الشرير، لذا يليق بنا أن نسحقه في بدايته قبل أن يحدرنا إلى العقب ويقتلنا. إنه يقول: **[ما هذه الرأس؟ إنها بداية كل اقتراح شرير. فعندما يقترح عليك (العدو) فكرة شريرًا القه عنك قبلما تنور اللذة فيك وتقبله.]**

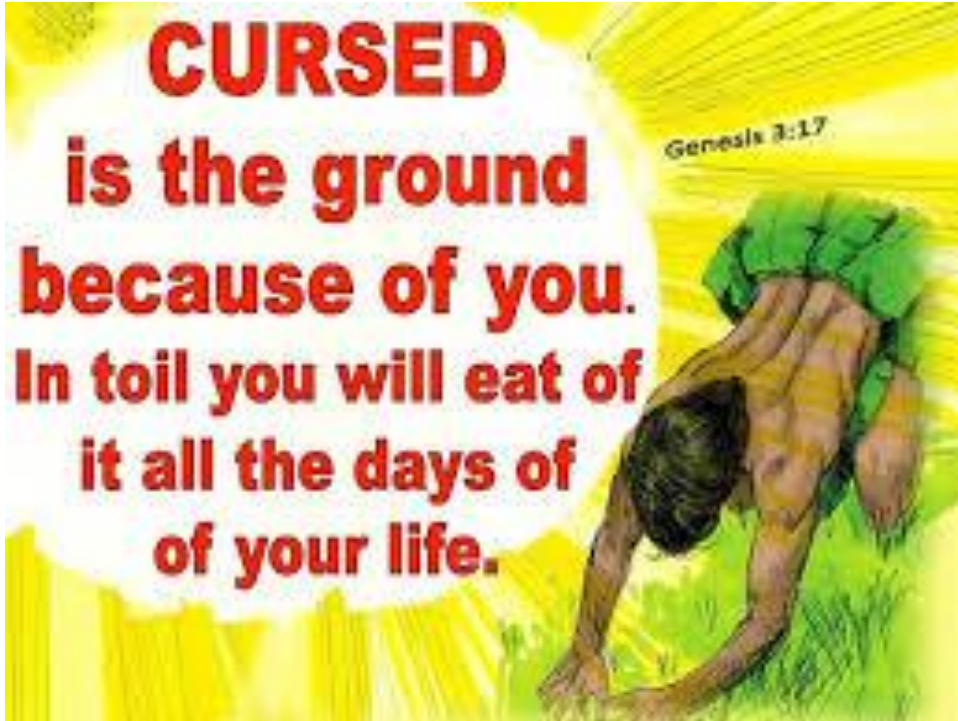
"وقال للمرأة: تكثيرًا أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادًا، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك" [16]

- هذا التأديب الذي سقطت تحته حواء بسبب الخطية، تحول بمراحم الله إلى بركة حينما قبلت الكنيسة - حواء الجديدة - أن تلد أولادًا روحيين لله خلال آلامها. يقول القديس أغسطينوس: **[تحبل الكنيسة - عروس المسيح - بالأطفال وتتمخض بهم. كمثال لها دُعيت حواء أم كل حيّ [20]. ويشرح القديس بولس معنى الكنيسة التي تتمخض بقوله: "يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضًا إلى أن يتصور المسيح فيكم" (غلاطية 4: 19). لكن الكنيسة لا تتمخض باطلاً، ولا تلد باطلاً، إنما تجد البذار المقدسة عند قيامة الأموات، تجد الأبرار الذين يتعشرون الآن (بالآلام) في العالم كله.]** وما تحتمله الكنيسة - حواء الجديدة - من آلام في حبْلِها بالأولاد الروحيين وإنجابهم في الرب إنما تحتمله أيضًا كل نفس ككنيسة وهي تحبل بثمر الروح لتلد أولادًا يفرحون قلب الله. وكما يقول القديس ديديموس الضريز: **[تنجب الكنيسة أولادًا وهي في العالم خلال الألم، لأن الفضيلة تستلزم الحزن، والندامة تنشئ توبة للخلاص بلا ندامة (2 كورنثوس 7: 10) ... "ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة؟!" (متي 7: 13-14) لكنه "واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلون منه".** أما عن الدموع فهي ممدوحة]

"وقال لآدم: ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوگا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزًا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود" [17 - 19]

- خلق الله الأرض من أجل الإنسان، وبسببه باركها لتثمر له بركات، فإذا عصى الرب سقطت تحت اللعنة لتثمر له شوگا وحسكا يتناسب مع عصيانه أو فكره الداخلي. وما حدث للأرض بصورة حرفية تحقق في الأرض الرمزية أي الجسد، الذي بسبب عصياننا لله فقد اتزانة وخسر تقديسه فصار ينبت لنا شوگا وحسكا يفسد النفس ويحطمها. هكذا بقيت أرضنا بلا ثمر روحي. حتى جاءت القديسة مريم، فقدّسها الروح القدس بقبولها الوعد الإلهي، فأنجبت لنا الثمر البكر الذي يفرح قلب الآب ويبهج حياتنا. وكما يقول القديس جيروم: [أعطيت هذه الأرض غلتها، فما فقدته في جنة عدن وجدته في الابن].

- هكذا بتجسد كلمة الله أمكن لأرضنا أن تنتج ثمرًا عوض الشوك والحسك، خاصة وأن السيد حمل هذا الشوك علي جبينه عوض أرضنا حتى يرد لأرضنا بهجتها ونزرع عنا الطبيعة الترابية واهبًا إيانا السمات السماوية. وكما يقول القديس جيروم: [كما يُقال للخاطي: أنت تراب وإلى التراب تعود، هكذا يُقال للقديس: أنت سماء وإلى السماء تعود].

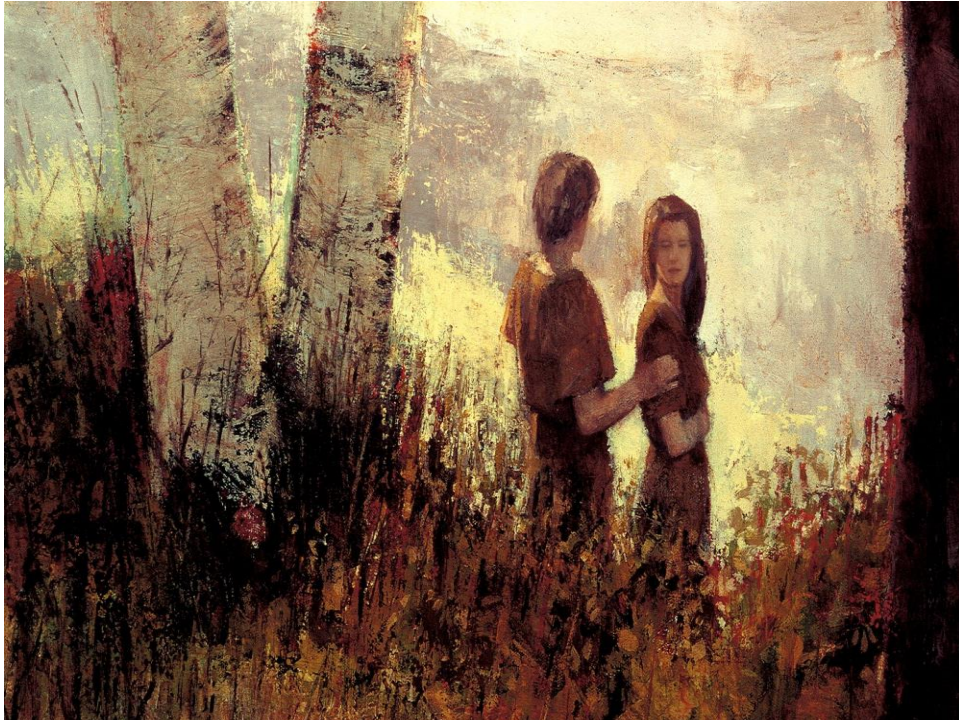


"ودعا آدم امرأته حواء، لأنها أم كل حيّ. وصنع الرب الإله لآدم وامرأته

أقمصة من جلد وألبسهما" [20 - 21]

- إن كان آدم وحواء قد سقطا تحت التأديب، فإنهما أبوانا الأولان، نجد في آدم أبًا لكل البشرية، وفي حواء أمًا للجميع... لكن خلال هذه الأبوة تسربت إلينا الخطية وسقطنا معهما تحت ذات التأديب حتى جاء آدم الثاني يهب الحياة للمؤمنين وصارت امرأته - حواء الجديدة - الأم الصادقة لكل حيّ. يقول القديس ديديموس الضريز: [الكنيسة هي أم المؤمنين، والمسيح هو أب لهم، الذي فيه تنبع كل أبوة ما في السموات وما على الأرض (أفسس 3: 15)]. ويقول القديس جيروم: [كما توجد حواء واحدة هي أم كل الأحياء، هكذا توجد كنيسة واحدة هي والدة كل المسيحيين].

- والآن إذ سقط الأبوان الأولان تحت التأديب الإلهي أعلن الله محبته لهم قبل طردهما من الجنة، إذ صنع لهما أقمصة من جلد وألبسهما عوض أوراق التين التي تجف وتتقطع وبهذا كشف عن للإنسان الأول عن أهمية الذبيحة كرمز لذبيحة الخلاص... وكان الله سلم آدم وحواء طقس الذبيحة الدموية. هذا والأقمصة الجلدية التي لا تجف ترمز إلى السيد المسيح الذبيح الذي نلبسه كساتر لخطايانا ونزاع لفضيحة طبيعتنا القديمة.



"وقال الرب الإله: هوذا الإنسان قد صار كواحد منه عارفاً الخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها. فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة" [22 - 24]

- إذ صنع الله للإنسان قميصاً من جلد وألبسه، معلناً رعايته الفائقة له خلال ذبيحة الصليب وستره لا بجلد حيوانات ميتة وإنما بالرب يسوع نفسه واهب الحياة، الذي يخفيه داخله ويستتر عليه، قام بطرده من جنة عدن... لماذا؟ لأننا في حقيقة الأمر طردنا أنفسنا بأنفسنا، إذ خلال العصيان صارت طبيعتنا الفاسدة لا تليق بالحياة المقدسة بل تناسب الأرض التي تخرج الشوك والحسك. لهذا يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [لقد وهبنا الله الفردوس، وهذا من صنع عنايته المتحننة؛ ونحن أظهرنا عدم استحقاقنا للعطية، وهذا نتيجة إهمالنا الخاص بنا، لقد نزع العطية من أولئك الذين صاروا غير مستحقين لها، وهذا نابع عن صلاحه.] يقول القديس ثاوفيلس الأنطاكي: [أن الطرد وإن كان عقوبة لكنه حمل صلاحاً من جهة الله، إذ أراد معاقبة الخطية وإصلاح الإنسان ورده بعد إعادة تجديده.] ويقول القديس أمبروسيوس: [أعطي الموت كعلاج إذ يضع حداً للشرور.]

A flaming sword which turned every way



- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [تأمل ماذا يكون موقف قايين لو بقي في الفردوس وهو سافك دم؟!... لقد أعطي الفردوس للإنسان، وعندما أظهر الإنسان عدم استحقاقه طرده، حتى يصير ببقائه خارجًا وبإهاتته إلى حال أحسن (بإظهار التوبة) فيجمع نفسه أكثر ويستحق العودة. وهكذا عندما صنع هذا وصار في حال أفضل أعاده مرة أخرى، قائلاً: **"إنك اليوم تكون معي في الفردوس" (لوقا 23: 43)**. هل رأيت كيف أنه ليس فقط إعطاء الفردوس بل وطرده منه هو علامة عظم اهتمام مملوءة ترفقًا؟! فلو لم يعانِ الإنسان الطرد من الفردوس ما كان يمكن أن يظهر مستحقًا له مرة أخرى.]

- لقد خشي الرب أن يأكل الإنسان من شجرة الحياة وهو فاسد في طبيعته فيبقى في شره أبدىً، وقوله: **"هوذا الإنسان قد صار كواحد منا"** يشير إلى تشبهه بالثالوث القدوس، من جهة معرفة الخير والشر، إذ قيل لقد صار لأدم بعد السقوط معرفة الشر الذي لم يكن يعرفه قبلاً، لكنه لم يفقد معرفته للخير الذي كان يعرفه. أخيراً، إذ طرد الإنسان من الفردوس أقام الله كاروبًا للحراسة... حتى جاء الجالس علي الكاروبيم نفسه يحملنا في جنبه المطعون ليدخل بنا إلى فردوسه السماوي.

